## الفصل الثاني

## أم مريم

في هذا الفصل نتناول حياة هذه السيـدة الفاضلة الصابرة التي توالت عليها المحن من كل صوب وحدب ،ومع ذلك تمسكت بحـبل الله المتين ، ووقفت على بابه تدعوه في كل وقت وحين... فاستجاب الله دعاءها ولبى نداءها

وفي هذا الفصل نتناول هذه العناصر :

**العنصر الأول** : أم مريم من هي ؟

**العنصر الثاني** : فتقبل مني إنك أنت السميع العليم.

**العنصر الثالث** : عبودية المال ، عبودية السلطة .

obeikandl.com

## أم مريم

من هذه السيدة التي كان من تشريف الله لها أن ذكـرت في القرآن الكريم بصفتها لا باسمها ؟ من هذه السيدة التي حملت في أحشائها سيدة نساء العالمين ؟

من هذه السيدة التي كانت جدة لكلمة الله المبين وعبده ورسوله الكريم؟

كل هذا وغيـره نحاول الإجابة عنه في هذه السطور القليلة إن شـاء الله تعالى ، وما هي الدروس المستفادة ،هذا وما توفيقي إلا بالله .

**هـي** : حنة بنت فاقوذ بن قابيل، وكـانت من العابدات الصالحات ، وكانت لا تحمل فرأت ذات يوم طائراً يزق فرخه فاشتـهت الولد ، فدعت الله عز وجل أن يهبها ولداً فاستجاب الله دعـاءها ، فواقعها زوجها فحملت منه ، فلمـا تحققت من حملها نذرت أن يكون مـحرراً [١] ـ أي خالصاً للعبادة ـ لخدمـة بيت المقدس ، فقالت كما قص علينا القرآن الكريم ، قال تعالى :﴿ **إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [آل عمران: ٣٥] .

هذه السيدة الفاضلة في حياتها عانت الكثير من المتـاعب والمشاق الكثيرة ، من حيث إنها لا تنجب ، وأن الحنين ليعتصـر فؤادها إلى الولد ، وإن القلب ليفطر شوقاً إلى طفل يداعب أجفانها ، وتملأ ضحكاته وصرخـاته أقطار بيتها ، وكأنى بها عندما ترى طفلاً بين أحضان أمـه تتمنى من أعماق قلبها أن يرزقهـا الله عز وجل طفلاً مثله وليس على الله ذلك بعزيز ، وقد أعيتهـا الحيل ، ومما زاد شوقها يوماً أنها رأت طائراً يُطعم فرخه ، فـيخرج ما في فمه ويضـعه في فم صغاره فتحـرك الأمل في قلبها من جـديد ، وغلبـها الشـوق والحنان مـرة أخرى ، فـأقـبلت على الله الرحـيم في ذلة وانكسار، ودعت الـعزيز الوهاب الذي يقول لـلشيء كن فيكون فدعـته في خـشوع وخضوع أن يحقق لها رغـبتها ، فاستجاب لها رافـع السماء بلا عمد وباسط الأرض على ماء جمد وحقق لها رغبتها ، وحملت ، وإذ بيوم تحس في أحشائها بأن شيئًا ما يحدث فمرت الليالي والأيام وهي بين الرجاء والأمـل كحلم سعيد ، فلما أيقنت بأن

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـ٢ صـ٥٦ .

في داخل أحشائها جنينًا ماذا تفعل أمام هذه النعمة والعطاء الإلهي العظيم ؟

توجهت إلى خالقها ورازقها بقلب يملؤه الإيمان وبلسان حالها قائلة: رب إني نذرت لك ما في بطني محررا، ولله در من قال :

لا تسألن بني آدم حاجـــة وسل الذي أبوابه لا تغلق

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم إن سألته يغضب

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى . . أن أي زوجة تأخرت في إنجابها لا تيأس من رحمة الله ولا تقنط من عطائه العظيم وأتوجه إليها وإلى كل إنسانة على وجه الأرض بسؤال فأقول: من المعطي ، من الرازق ، من الواهب ، من القادر ، من المنجد ، من الحفيظ ، من الحافظ ، من المعز ، من المذل ، من المغني ، من القدير ، من الرافع ، من الباسط ، من القابض ، من المقتدر ، من الماجد ، من الواجد ، من المحيي ، من المميت ، من الملك ، من بيده الملك والملكوت ، من الواحد؟ إنه الله الذي بيده الملك والملكوت . . أقول لها: ألم يقل مولانا تبارك وتعالى: ﴿ **يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ** ﴾ .

فلا تيأس ولا تقنط ولا تتعجل فإن فرج الله قريب ورحمته واسعة ، وكذلك من ضاقت عليه الدنيا فليلجأ إلى الله فهذه السيدة الفاضلة عندما أحست وأيقنت بجنين يتحرك في أحشائها ﴿ **فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ أي تقبل مني نذري وهبتي ، فإنك أنت السميع لدعائي العليم بنيتي .

فهذه السيدة الفاضلة دعت ربها فاستجيب لها ، لأن الدعاء يحدد صلة العبد بربه ، وأنه قريب منه يجيبه إذا دعاه ، ويلبيه إذا ناداه ، ويعطيه إذا سأله فهو سبحانه الذي نجى نوحا من الغرق ، وأنقذ إبراهيم من النار ، ونجى إسماعيل من الذبح ، وأخرج يوسف من البئر ، ورد على يعقوب بصره ، وكشف عن أيوب بلاءه ، ونجى يونس من بطن الحوت ، وأنقذ موسى من فرعون ، ووهب يحيى لزكريا ونجى عيسى من اليهود ، وهو الذي أنقذ حبيبه محمدًا ﷺ من أذى المشركين .

كل ذلك بفضل اعتصامهم بالله ودعائهم له ، واستغاثتهم به ، والتجائهم إليه ويقينهم فيه ، أليس هو القائل : ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ**

خُلَفَاءَ الأَرْضِ ﴾ [النمل: ٦٢] .

يفهم من ذلك أن الدعاء فضيلة من فضائل الأنبياء ، فهذا هو سيدنا نوح عليه السلام يدعو قومه : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦] وفي موضع آخر: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴾ [القمر: ١٠] .

وهذا هو خليل الرحمن يدعو ربه حين ترك وحيده وأمه في الصحراء فقال : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٦) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ من شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ (٣٨) الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم: ٣٥-٤١] .

## عبودية المال

**والسؤال الذي يطرح نفسه كيف يكون الإنسان عبدا للمال ؟**

**والإجابة عن هذا :**

أن الإنسان إذا حرص عليه ولم يؤد حق الله فيه من زكاة أو صدقة ، وأصبح المال عنده أهم من أي شيء ، من صلته لرحمه ، أو من عطفه على الفقراء والمساكين ، يصبح المال أحب إليه من أخيه ابن أمه وأبيه ، بل يصبح أحب إليه من أمه ومن أبيه ومن ابنه ومن أخيه . . من نفسه من كل شيء ومع ذلك تجده أتعس خلق الله وإن كان عنده من المال الكثير يحرم نفسه من لذة العيش ومن متع الحياة ، الحلال . .

لذا يقول الرسول ﷺ : « **تعس عبد الدينار والدرهم** » .

والعبودية للمال لا تأتي بخير في الدنيا والآخرة.

في الدنيا . . . تجده فقيرًا يستحق الإحسان وإن كان غنيًا، تجده ذليلاً بين الناس

كل همه كنز المال وجمعه لا يفرق بين كونه حلالاً كان أم من حرام.

أخي المسلم.. دعني أنقل لك الآن قصة واقعية ذكرها لنا صاحب كتاب الجزاء من جنس العمل [١]. والتي تدل على عقوبة مانع الزكاة وكانز المال ... يقول: يذكر هذه القصة الواقعية رجل من منطقة الإحساء يقول: كان لي جار بخيل بلغ من الكبر عتيا، واشتعل رأسه شيبًا ، ليس له أحد لا زوج ولا ولد ولا قريب ، وكان يجمع المال ويكنزه ، وذات يوم تأخر على غير عادته، ولم يخرج إلى دكانه ، وكان صانعا للنعال والأحذية ، يقول : فلما صليت العشاء جئت إلى بابه، الذي كاد يتهاوى، لو اتكأت عليه لانهدم.

يقول : فدفعت الباب ثم أدخلت رجلي اليمنى ، وقلت: يا فلان ، يقول: ففزع وصرخ وجمع أطرافه، وقال : ويحك ماذا تريد مني اذهب اخرج، يقول: فقلت له: جئت أعودك افتقدتك ثلاثة أيام لا أراك في دكانك يقول: فطردني شر طردة.. يقول: فخرجت ولكني خشيت أن يكون به مس أو أصابه شيء ، فعدت مرة ثانية ، وإذ به قد جمع الذهب أمامه، دنانير الذهب المصكوكة أمامه بريقها يتراقص على ضوء المصباح، وبجواره زيت وهو يخاطب الذهب قائلا له:

يا حبيبي يا من أفنيت فيك عمري، أموت وأتركك لغيري، لا والله أنا أعلم أن موتي قريب ، وأنَّ مرضي خطير، ولكني سأدفنك معي .. ثم يأخذ دينار الذهب ويغمسه في الزيت ويهوى به إلى فمه ويبلعه، يقول : فإذا بلعه أصابته كحة شديدة يكاد أن يموت منها ، ثم يأخذ نفسه ويرفع دينارًا ثانيًا، ويخاطبه بشوق وولهٍ وهيام كأنه حبيب جاء من مكان بعيد، ثم يغمسه في الزيت ويهوى به إلى فمه فقلت: والله لن يأخذ مال البخيل إلا العيَّار، وسأكون أنا عيّار هذا اليوم، يقول: فأوصدت عليه الباب، وربطته في سلك، وتركته ثلاثة حتى اطمأننت أنه هلك، يقول: فجئته فإذا هو قد تحجر ويبس في فراشه، وقد ابتلع كومة الذهب التي أمامه ، يقول : فأخبرت الناس فحملوه وغسلوه، وهم يتعجبون لثقله يقولون ليس إلا الجلد والعظم فيه ما باله ثقيل بعضهم يقول :من البخل، والآخر يقول: من الذنوب ، وهم لا يعلمون السر

(١) الجزاء من جنس العمل د . سيد العفاني (١/ ٥٣٥، ٥٣٦) .

الذي أعلم .

يقول : فدفناه ووضعت علامة على القبر، فلما انتصف الليل أخذت معي الفأس والمعول، ثم أخذت أحفر القبر ودفعت عنه التراب ، وأنا ألتفت يمينًا وشمالاً حتى لا يراني أحد، ثم أزحت الحجارة عن اللحد، فبان بياض الكفن ، فأخرجت سكينة، وقطعت الكفن تجاه البطن، ثم بقرت بطنه، فإذا الذهب يتوهج على ضوء القمر، يقول: فمددت يدي لآخذه ، فإذا هو حار كالجمر المستعر، يقول: فصرخت ونزعت يدي، وردمت القبر بالحجارة، وردمت عليه التراب وخرجت أصرخ، ما رأيت ألمًا مثله، وغمست في الماء البارد يدي، وظللت سنوات أحسّ بهذه اللسعة تأتيني بين فترة وفترة.

## الوليد بن المغيرة

وما أجمل وما أروع هذا التصوير القرآني . . إذ يقول الحق تعالى : ﴿ **الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾** ﴾ [الهمزة].

الله أكبر ما أروع هذا التحذير النبوي الكريم حين حذرنا من الشح والبخل لأنه يهلك صاحبه ويؤدي به إلى الدمار والهلاك.

فيقول ﷺ فيما يرويه عنه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : « **واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن يسفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**»(١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **شر ما في الرجل شح هالع ، وجبن خالع**»(٢) أي شر مساوئ أخلاقه، شح هالع أي جازع أي يحمله على أن يكون حريصًا على المال مع الهلع وهو أفحش الجزع، ومعنى جبن خالع :

---

(١) رواه مسلم رقم ٢٥٧٨ وأحمد في مسنده رقم ٦٨٣٧ وأورده الخرائطي في مساوئ الأخلاق رقم ٣٥٣ .

(٢) رواه أبو داود بسند حسن برقم ٢٥١١ والبخاري في التاريخ ورواه ابن حبان وصححه ورواه أحمد في مسنده رقم ٧٩٩٧ .

أي شديد كأنه يخلع فؤاد صاحبه من شدة الخوف ، هذا وإليك أخي الحبيب . .هذا الأثر الذي ذكره صاحب الأنابيش فيقول . .قد جاء في الأثر . .أن رجلاً جمع المال من حله ومن حرامه حتى أصبح من أثرياء القوم وكان بخيلاً لا ينفق شيئاً ، وكان من عباد المال ، فذات يوم أطرق عليه بابه ، فخرج بعض خدمه ، فوجدوا رجلاً رث الثياب ، حاله يغني عن سؤاله ، فقالوا له : ماذا تريد؟ قال : أريد سيدكم ، فقالوا له : أما علمت أن سيدنا لا ينفق الكثير ولا القليل ، ولا يتصدق بالقيل ولا بالنقير [القيل : الغلالة الرقيقة التي تكون على نوى التمر ، والنقير : النقطة التي تكون على ظهر نوى البلح ] وأغلقوا الباب دونه . فعاود مرة ومرة وفي كل مرة يقولون له مثل ما قالوه له في المرة الأولى ، وفي المرة الثالثة قال لهم: أخبروه بأني ملك الموت !

فلما أخبروا سيدهم قال لهم: لطفوا له في القول ، فقالوا: ألا تأخذ أحدنا ؟ قال :إني أريد سيدكم ، فلما دخل عليه قال له: أوصي ما كنت موصيا ، فأنا الذي لا تحجب عني الحجب ، ولا تغلق أمامه الأبواب وأنا الذي أطوي الجبابرة وأقسم ظهور القياصرة ، فقام الرجل فزعا إلى خزائن المال ـ يفتحها وهو يقول : بئس المال أنت ، لعنت من مال [١]، أنسيتني ذكر ربي ، ومن أجلك قطعت رحمي ، وظلمت نفسي بئس المال أنت فأنطق الله عزت قدرته المال . . .فقال : بئس الجامع أنت ، ألم تكن فقيراً فصرت بي غنياً ، ألم تكن بين الناس ذليلاً فصرت بي عزيزاً ، ألم تكن تذهب إلى بنات السادات والأغنياء فتنكح ويذهب غيرك من عباد الله الصالحين فلا ينكحون ، ألم تكن تذهب إلى مجالس الأغنياء فتجلس وغيرك من عباد الله الصالحين يذهبون فلا يجلسون أنا وأنت يابن آدم خلقنا من تراب فمنطلق مع كل بار وفاجر . .

ماذا نستفيد من هذا الأثر ، ماذا حصد عابد المال ؟ لا شيء سوى الحسرة والندامة ، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن هذا الدينار والدرهم أهلكا من قبلكم وهما مهلكاكم**»[٢] . . .وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: احذروا المال فإنه له ضراوة كضراوة الخمر . .أي أنه يسكر صاحبه

(١) الأنابيش جـ١٢ص٩٥ الأستاذ عبد الرحمن الضبع،بتصرف .

(٢) حديث صحيح : رواه البيهقي في شعب الإيمان والطبراني في الكبير، وانظر صحيح الجامع تحت رقم ٢٢٤٥ .

كما تسكر الخمر صاحبها . قلت : صدق الفاروق رضي الله عنه فكم من أقدام زلت بعد ثبوتها ، وكم من قلوب قست بعد خشوعها ، وكم من أفئدة انقطعت عن الله بعد اتصالها ، بل وكم من نفوس كفرت بالله بعد إيمانها بالله رب العالمين ، بسبب المال وصدق النبي ﷺ : « **تعس عبد الدينار والدرهم**»[1] فهكذا قد رأينا كيف استعبد المال صاحبه ودار به حيث يدور ، وأورده موارد التهلكة ، وأصبح من الخاسرين في الدنيا والآخرة .

## عبودية السلطة

### كيف يكون الإنسان عبداً للسلطة ؟

كما أن المال يسكر صاحبه ويغلب على قلبه وعقله ، فإن سحر الكرسي وسلطانه يلعب برأسه ويسكره ويفعل بصاحبه كما يفعل الخمر برأس شاربها ، فمن أجل منصبه أو الوصول إليه فربما يضحي بأخلاقه ، ومبادئه ودينه ، وينسى كل شيء من أجل منصبه ، ظناً من صاحبه أن المنصب يبقى معه وينفعه ، بل ربما ظن أن منصبه سيخلد معه إن كان له تخليد ، كلا والله إنه تاركه إما عاجلاً أو آجلاً .

لأنه إما يترك صاحبه أو يتركه صاحب المنصب ، لأنه كما قيل: لو دام إلى غيرك ما وصل إليك .

فهذا رجل كان في الحقبة الناصرية يعمل مديراً لأحد السجون ، فكان يصب واجم غضبه وحقده على سجنائه لا يميز بين بريء أو مذنب ، وذات يوم وهو يصب واجم غضبه على رجل من الإخوان المسلمين فقال له : اتق الله فإن موعدنا القيامة والوقوف بين يدى الله الواحد الأحد ، فقال الرجل كلمة أخرجته من الدين ، فقال والعياذ بالله : لو أن الله نزل لسجنته في سجن انفرادي ، معاذاً لله من هذا .

وبعد هذا اليوم بأيام قليلة وهو في طريقه إلى بيته يقع له حادثة إذ بسيارة نقل محملة بأسياخ حديد ، تدخل في سيارته؛ وإذ بسيخ حديد يدخل في رقبته ويخرج من الناحية الأخرى وكان يخور كما يخور الثور المذبوح ، ونال جزاءه في الدنيا وسينال عقاب الله في الآخرة إن شاء الله عز وجل ، وليس الأمر قاصراً على هذا

---

(١) رواه البخاري .

الرجل الذي يسمى بحمزة البسيوني[١] .

فهذا رجل آخر عرف عنه تدينه ، وتمسكه بدينه ، وما أن وصل إلى منصبه من هذه المناصب فإذا به يتنازل شيئاً فشيئاً عن أخلاقه ومبادئه ثم عن دينه ويقول هذه القولة الكافرة الفاجرة : ائتوني بقلم أحمر أعلم على ما في القرآن من أخطاء ، والعياذ بالله .

(١) الجزاء من جنس العمل .

obeikandl.com